جامعة محمد لمين دباغين – سطيف 2
كلية الآداب واللغات
قسم الترجمة
مادة التدعيم اللغوي عربي

التطور الدلالي

التطور الدلالي هو جزء أساسي من الحياة اللغوية، ويساهم في استمرار نمو اللغة وتكيفها مع متطلبات العصر. من الضروري فهم هذا التطور لفهم كيفية تفاعل الكلمات مع الثقافات المختلفة وكيف يمكن أن تنعكس التغيرات الاجتماعية في اللغة.

1- تعريف التطور الدلالي:

التطور الدلالي هو العملية التي تتغير بها معاني الكلمات بمرور الوقت. يشمل ذلك تحول المعاني، اتساعها، أو تضييقها نتيجة للتغيرات الثقافية، الاجتماعية، أو اللغوية ويعرف بأنه "التغير الذي يطرأ على اللغة سواء أصواتها أو دلالة مفرداتها أو في الزيادة التي تكتسبها اللغة أو النقصان الذي يصيبها، وذلك كله نتيجة عوامل مختلفة ترتبط ارتباطا وثيقا بحياة الأمم في كافة مجالاتها".

2- أسباب التطور الدلالي:

1. **التغيرات الثقافية:**
   - تتغير القيم والمعتقدات مع الزمن، مما يؤثر على كيفية استخدام الكلمات. على سبيل المثال، كلمة "حمار" كانت تُستخدم للإشارة إلى الحيوان، لكن في بعض السياقات، قد تُستخدم للإشارة إلى شخص غبي.
2. **الاستعمال المجازي:**
   - تستخدم الكلمات في معانٍ مجازية، مما يؤدي إلى تغير دلالاتها. مثلاً، كلمة "قلب" تعني العضو الحيوي، لكنها تُستخدم أيضًا للإشارة إلى المشاعر.
3. **التغيرات الاجتماعية:**
   - قد تؤدي التغيرات في التوجهات والمذاهب الاجتماعية إلى تحولات في معاني الكلمات. على سبيل المثال، كلمة "متحرر" كانت تُستخدم للإشارة إلى الشخص الذي يسعى للحرية، لكنها الآن قد تُستخدم للإشارة إلى الشخص الذي يتبنى أفكارًا معينة.
4. **التطور اللغوي:**
   - مع مرور الزمن، قد تتطور الكلمات لتصبح أكثر تعقيدًا أو لتغطي معاني جديدة. مثلًا، كلمة "صديق" كانت تعني فقط "رفيق"، لكنها الآن تشمل أيضًا معاني مثل "موثوق."
5. **الاستعمال:**
   ينتج عن استخدام الألفاظ تغيرات دلالية في جميع المجالات.
6. **الحاجة إلى ألفاظ جديدة:**
   - تدعو الحاجة في المجتمع إلى استحداث معانٍ جديدة تتناسب مع التطورات العلمية والتخصصات الحديثة، مما يستدعي استخدام مصطلحات جديدة لتسمية الأشياء التي لم تكن موجودة في الماضي. كثيرًا ما تلجأ المجتمعات إلى الاقتراض اللغوي من كلمات أجنبية، ولكن غالبًا ما تستخدم كلمات ذات دلالات أصلية قديمة في سياقات جديدة. عندما يُستخدم هذا النوع من الكلمات بشكل متكرر، تُنسى معانيها الأصلية ويصبح المعنى الجديد هو

السائد. تتجلى هذه الظاهرة في العديد من المصطلحات العلمية والتكنولوجية المعاصرة مثل "المدفع" و"السيارة" و"الثلاجة". وتتم هذه العملية عادةً من خلال المجامع اللغوية أو الأفراد المبدعين مثل الأدباء، مما يفرض الألفاظ في صيغتها الجديدة على المجتمع للتداول.

7. **العوامل النفسية:**
   - تؤثر العوامل النفسية بشكل كبير في إحداث تغييرات دلالية في اللغة، حيث يميل الناس إلى تلطيف العبارات ذات الدلالات السلبية أو المخيفة لتجنب الاشمئزاز أو الخوف. تعكس الآداب الاجتماعية والحياء والتشاؤم والتفاؤل كيفية تجنب الألفاظ المحرجة أو المثيرة للاشمئزاز، مما يؤدي إلى استخدام بدائل أكثر قبولًا. على سبيل المثال، تُستخدم كلمات مثل "السليم" بدلًا من "اللديغ" و"طب" ككنية عن "السحر"، مما يظهر كيف تتكيف اللغة لتلبية التوجهات النفسية والاجتماعية للمجتمع.

8. **التطور الصوتي:**

يسهم التطور الصوتي في إحداث تغييرات دلالية، حيث إن ثبات أصوات الكلمة يساعد على استقرار معناها، بينما يمكن أن يؤدي تغييرها إلى تبدل المعاني. تشمل هذه التغييرات قلب الحروف أو تقارب مخارجها، مما يؤدي إلى تداخل دلالات كلمات مختلفة. وقد درس اللغويون العرب هذه الظواهر، مثلما يتضح في أعمال ابن جني، حيث يؤثر تغيير وحدة صوتية على معاني الكلمات. على سبيل المثال، كلمة "كماش" التي اختلطت مع "قماش"، وكذلك كلمات مثل "دعم" و"دحم" التي أدت تشابه مخارج الحروف فيها إلى خلط في المعاني. هذه الظواهر توضح كيف يمكن أن يؤدي التغيير الصوتي إلى تطور دلالي في اللغة.

9. **أسباب اشتقاقية:**

تعتبر ظاهرة الاشتقاق من العوامل الرئيسية التي تؤدي إلى تغير دلالة بعض المفردات، حيث يمكن أن يحدث الخلط بين أصلين من أصول الاشتقاق، مما يقرب معانيهما من بعضها. يسهم هذا الخلط في توهم المعاني، كما يتضح من مثال "ضَرَبَه فأَشْوَاه"، حيث يُفسر البعض ذلك بمعنى "ضربه فأحرقه" نتيجة لتقارب الكلمة "شَوَى" بمعنى أحرق وكلمة "شَوَى" بمعنى أطراف الجسم. هذا التداخل بين الأصول يؤدي إلى تغييرات دلالية تعكس كيف يمكن أن تؤثر الاشتقاقات على فهم الكلمات ومعانيه.

10. **أسباب سياقية:**

يعتبر السياق من العوامل الأساسية التي تؤدي إلى تغيّر دلالة الكلمات، حيث يمكن أن تحمل الكلمة الواحدة معانٍ مختلفة بناءً على تركيبها في جمل متنوعة. على سبيل المثال، تُستخدم كلمة "كتاب" في سياقات متعددة تحمل معاني مختلفة؛ ففي الجملة الأولى، تشير إلى مؤلف للرافعي، بينما في الآية الثانية تعني القرآن الكريم، وفي الجملة الثالثة تشير إلى خطاب رسمي، وفي الآية الأخيرة تدل على فريضة الصلاة. يعكس هذا التباين في المعاني كيف أن السياق يلعب دورًا حيويًا في تحديد الدلالة الدقيقة للكلمات.

11. **أسباب نحوية:**

تساهم قواعد اللغة في تغيير مدلول الكلمات وتوجيهها نحو معانٍ خاصة. على سبيل المثال، تذكير كلمة "ولد" في العربية، التي تعني "ولد صغير"، جعل معناها يرتبط بالمذكر في الذهن. نتيجة لذلك، بدأ مدلول الكلمة يتقارب مع هذا المعنى، حتى أصبحت تُستخدم في العديد من اللهجات العامية للإشارة فقط إلى الذكور، مما يبرز كيف تؤثر القواعد اللغوية على فهم الكلمات واستخدامها.

3- مظاهر التطور الدلالي:

للتطور الدلالي مظاهر معدودة، نصّ عليها الباحثون في علم الدلالة:

أولا تخصيص الدلالة أو تضييق المعنى: تخصيص الدلالة هو عملية تحويل المعنى من الكلي إلى الجزئي، مما يعني تحديد معاني الكلمات وتقليلها. يُشار إلى هذا النوع من الدلالة في الفلسفة والمنطق بالدلالة العامة، حيث تطبق على كل فرد من مجموعة كبيرة، مثل كلمة "شجرة" التي تشمل جميع أنواع الأشجار. عندما يتم تحديد الدلالة، تصبح الكلمة جزئية، كما في "شجرة البرتقال"، التي تستبعد أنواع الأشجار الأخرى، أو

"شجرة البرتقال المصرية"، التي تضيق المعنى أكثر. يستمر هذا التخصيص حتى يصل إلى دلالات دقيقة جداً، مثل "شجرة البرتقال في حديقتنا"، حيث تكاد تكون الدلالة كدلالة الأعلام.

تحدث الإمام جلال الدين السيوطي عن تخصيص الدلالة في كتابه "المظهر"، مسميًا إياه "معرفة العام والخاص". وذكر أن بعض الألفاظ، التي كانت في الأصل عامة، قد خُصصت في الاستعمال لأفراد معينة، كما في كلمة "الحج" التي تعني في الأصل "قصْد الشيء"، ثم خصصت بقصد البيت الحرام. أمثلة أخرى تشمل كلمة "السّبت"، التي كانت تعني "الدهر" ثم خُصصت لأحد أيام الأسبوع. هذا النوع من التطور الدلالي يقصر مدلول اللفظة من معاني متعددة إلى معنى محدد ومحصور.

ثانيا تعميم الدلالة أو توسيع المعنى: تعميم الدلالة هو عملية عكس تخصيص المعنى، حيث يتسع مجال الدلالة ليشمل معاني أكثر مما كان عليه. رغم أن تخصيص الدلالات أكثر شيوعًا وتأثيرًا في تطور اللغة، إلا أن التعميم يحدث أيضًا. يظهر ذلك بوضوح في سلوك الأطفال، حيث يطلقون أسماء معينة على أشياء متعددة تشبهها. على سبيل المثال، قد يستخدم الطفل كلمة "الأب" لأي رجل يشبه والده في المظهر، أو "الأم" لأي امرأة تشبه والدته، ويصف كل طائر بـ "دجاجة" أو كل حيوان كبير بـ "حمار" أو "حصان"، مما يعكس تجاربهم وبيئتهم.

ومن الأمثلة الأخرى على التعميم، كلمة "البأس" التي كانت تعني الشدة في الحرب فقط، لكنها عممت لتشير إلى كل نوع من الشدة. كذلك، يستخدم الناس اليوم كلمة "الورد" للإشارة إلى كل زهر، و"البحر" لتشمل النهر والبحر معًا. وقد ناقش ابن دريد في كتابه "جمهرة اللغة" هذا النوع من التطور الدلالي، حيث أشار إلى أن كلمة "النُجْعَة" التي كانت تعني طلب الغيث، أصبحت تشير إلى أي طلب للغيث بشكل عام.

ثالثا: انتقال الدلالة (الانتقال من مجال إلى مجال): يمثل انتقال الدلالة نوعًا من التطور الدلالي يشمل أشكالًا متنوعة، مثل الانتقال من المحسوس إلى المجرد، والاستعارة، والمجاز المرسل. يبدأ نشوء الدلالة بالمحسوسات، حيث يدرك الإنسان أولاً ما حوله، ثم يتطور تفكيره ليشمل الدلالات المجردة مع تقدم الحضارة. يتضح هذا الانتقال تدريجيًا، كما يلاحظ في كيفية استخدام الأطفال للكلمات المرتبطة بمحسوسات حياتهم. بالإضافة إلى ذلك، يمكن أن يحدث انتقال بين المحسوسات بناءً على علاقات مكانية أو زمانية، مثل استخدام كلمة "الذقن" للدلالة على "اللحية."

أما في حالة الاستعارة، فهي تعتمد على علاقة المشابهة بين مدلولين، كما في عبارة "تذأبت الريح" التي تشبه فعل الذئب في دورانه حول فريسته. ومن جهة أخرى، المجاز المرسل يتم من خلال انتقال اللفظ بين معانٍ مختلفة بناءً على علاقات مثل المجاورة أو السبب أو الكل والجزء. مثال على ذلك هو كلمة "مكتب"، التي بدأت كمنضدة كتابة ثم انتقلت للدلالة على الحجرة أو الهيئة التي تدير الأعمال. نستنتج أن الاستعارة تعكس علاقة المشابهة، بينما المجاز المرسل يعتمد على مجموعة متنوعة من العلاقات بين المدلولين.

4- أمثلة عن التطور الدلالي:

1. **كلمة "جديد:"**
   - كانت تعني "حديث" أو "غير مستخدم"، لكنها الآن قد تشير إلى "أفكار جديدة" أو "طرق جديدة."
2. **كلمة "بسيط:"**
   - كانت تعني "سهل" أو "عادي"، لكن في بعض السياقات، قد تشير إلى "غير معقد" أو "غير ذكي."
3. **كلمة "حر:"**

- في البداية كانت تعني "غير مقيد"، لكنها الآن قد تتوسع لتشمل معنى "الحرية الشخصية" أو "الحرية الفكرية."

5- تأثير التطور الدلالي:

- **غنى اللغة :**يساهم التطور الدلالي في إثراء الثروة اللغوية، مما يسمح بالتعبير عن أفكار ومشاعر معقدة.
- **التنوع :**يعكس التنوع الثقافي والاجتماعي للمجتمعات المختلفة، ويظهر كيفية تفاعل اللغة مع التغيرات في الحياة اليومية.
- **التحدي في الفهم :**يمكن أن يؤدي التطور الدلالي إلى بعض الالتباسات، حيث قد لا يفهم المتحدثون الجدد المعاني القديمة للكلمات أو العكس.

أسئلة تطبيقية:

1. **تعريفات ومفاهيم:**
   - ما هو مفهوم التطور الدلالي، وكيف يختلف عن التطور اللغوي بشكل عام؟
   - اشرح بمثال واحد كيف يمكن أن تؤدي التغيرات الثقافية إلى تطور دلالي في كلمة معينة.
2. **أسباب التطور الدلالي:**
   - اذكر مثالًا على كلمة تأثرت بالتغيرات الاجتماعية وفسر كيف تغير معناها.
   - كيف يمكن أن يؤدي الاستعمال المجازي للكلمات إلى تغيير دلالاتها؟ قدم مثالًا.
3. **مظاهر التطور الدلالي:**
   - كيف يختلف تخصيص الدلالة عن تعميمها؟ قدم مثالًا لكل منهما.
   - اشرح كيف يمكن أن يحدث انتقال الدلالة بين المحسوسات والمجردات مع تقديم مثال.
4. **أمثلة وتحليل:**
   - اختر كلمة من الكلمات المعطاة (مثل "جديد" أو "حر") وفسر كيف تطور معناها عبر الزمن.
   - ناقش كيف يمكن أن تؤثر العوامل النفسية على التطور الدلالي لكلمة معينة، مع تقديم مثال.
5. **تأثير التطور الدلالي:**
   - كيف يساهم التطور الدلالي في غنى اللغة؟ اشرح ذلك من خلال أمثلة.
   - ما هي التحديات التي يمكن أن يواجهها المتحدثون الجدد بسبب التطور الدلالي للكلمات؟
6. **التطبيق العملي:**
   - فكر في كلمة "كتاب" واذكر أربعة معانٍ مختلفة لها في سياقات مختلفة، واشرح كيف يعكس كل معنى سياق استخدامه.
   - ابحث في لغتك الأم عن كلمة قد تغيرت دلالتها بمرور الزمن، وناقش العوامل التي أدت إلى هذا التغيير.